



أدب المريدين للسهروردي

توفي بالقاهرة في سنة ٧٠٩ هجرية
(١٣٠٩ ميلادية) وورد في كتابه كشف
الظنون أنه توفي سنة ٧٠٧ هجرية .
(استمدت هذه الترجمة من :
الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال
والنساء لخير الدين الزركلي ، دار العلم
للملايين : بيروت ، المجلد الأول) .

عرض الكتاب :

يتكون الكتاب من اثنتين وستين صفحة
من القطع الصغير بدون تحقيق أو تقسيم إلى
فصول داخلية ولا يحوى أية عناوين . وفيه
يسترسل ابن عطاء الله السكندري ويقدم
عديداً من النواشط ترمي إلى نبذ الدنيا
والزهد فيها والعمل للأخرة .

التعريف بالمؤلف :

هو أحمد بن محمد بن عبد الكريم ، أبو
الفضل تاج الدين (وهي ربما من ألقابه)
ابن عطاء الله السكندري متصوف شاذلي
من العلماء ، كان من أشد خصوم شيخ
الإسلام بن تيمية .

له تصانيف كثيرة منها « الحكم
العطائية » في التصوف ، « وتاج العروس »
في الوصايا والعظات ، ولطائف المنن في
مناقب المرسى ، وأني الحسن . وينسب إليه
كتاب مفتاح الفلاح ، وليس من تأليفه ،
والدرر الكامنة ، الرحلة العباسية ،
وكشف الظنون ، والكتاب الذي نحن
بصدده .

القشيري وقد عالج قضايا مهمة في كتابه منها ما يتفق عليه اتباع المذهب الصوفي ، وسماح أهل الطريقة الصوفية ، وآراؤهم في علوم الشريعة ودعوتهم لتحصيل العلم ، وآدابهم في الصحة ، والسفر ، وحال المرض والموت والابتلاء والرخص ومدى إباحتها.

ويستهل السهروردي كتابه ببيان أهمية العلم بعقائد أهل الصوفية وآدابهم واصطلاحاتهم وبدأ يذكر مذهبهم في أصل الاعتقاد فذكر أن الصوفية قد أجمعوا على أن الله تعالى واحد لا شريك له وعلى جواز رؤية الله يوم القيامة وعلى الإيمان بكتاب الله وسنة رسوله ويرون الخلافة في قریش ويؤمنون بالكتب المنزلة وبالأنبياء وأنهم أفضل البشر وأن محمدا سيد المرسلين وأفضل البشر ويأتي بعده أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم العشرة المبشرون بالجنة وأباحوا الكسب والتجارة والصناعة باعتبارها تعاون على البر والتقوى وأجمعوا على أن الفقر أفضل من الغنى إذا كان مقرونا بالرضا والصبر وشكر الله على كل حال وأجمعوا على أن خصال العباد ليست سببا للسعادة أو للشقاوة وأن السعادة والشقاوة مقدرة للمرء قبل ولادته ويرون الرضا بالقضاء والصبر على البلاء والشكر على النعماء وأن الخوف والرجاء يمنعان العبد من سوء الأدب وأن الحب في الله والبغض في

الشافعية ، و « آداب المريدين » الذي نعرض له في تلك الصفحات .

توفي ببغداد سنة (٥٦٣ هـ ، ١١٦٨ م) ، ودفن برباطه على شاطئ دجلة ، ويقصد الناس قبره للزيارة .

مصادر التعريف بالمؤلف :

- ١ - مقدمة كتاب « آداب المريدين » وكتبها المحقق فهم محمد شلتوت .
- ٢ - خير الدين الزركلي ، الأعلام ، بيروت ، دار العلم للملايين ، المجلد الرابع ، ١٩٨٦ .
- ٣ - عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ، بيروت ، مكتبة المثنى ، المجلد الخامس .

عرض الكتاب :

يقع الكتاب في ١٨٣ صفحة من القطع الصغير ويهدف إلى التعريف بالتراث الصوفي وطريقة معالجته لأمر العقيدة والآداب والأخلاق والسلوك وتوضيح الأساس الذي يقوم عليه الفكر الصوفي وهو مقاومة الشهوات وملذات الدنيا والتطلع إلى عالم روحاني عبر الزهد وجهاد النفس .

ويشير المحقق في المقدمة إلى : أن أسلوب الكتاب يتميز بالسهولة كما يخلو من الإشارات والرموز الغامضة والقصص التي ٢٠٠ لـ العقل ، كما أن صاحبه من أعلام الصوفية جاء في أعقاب عهد أبي القاسم

الله من أوثق دلائل الإيمان ، وأجمعوا على إباحة لبس سائر أنواع الثياب إلا ما حرّمته الشريعة ويفضلون المرقع منها لدلائلها على التواضع ، وأحب الألوان إلى أنفسهم الأبيض والأخضر وأجمعوا على استحباب تحسين الصوت بالقرآن دون إخلال بالمعنى وسماع ما كان من الشعر في المواعظ والحكم ، وأباحوا سماع الصوت الحسن والنعمة الطيبة ، وبين السهروردي أن الناس يتعاونون في تعبيرهم عن الإعجاب بالسماع والاندماج فيه فمنهم من يظهر الفرح ، والطرب وعلاماته ثلاث وهى : الرقص والتصفيق والفرح ، أو الوجد وعلاماته الغيبة وقطع أعضاء الجسم كالأذن والصرخات ، أو الخوف وعلاماته البكاء والللطم والزفرات وأن من شروط مكان السماع أن يكون طيب الرائحة مع الالتزام بالوقار .

ومن المفاهيم السيكلوجية التى وردت فى هذا الفصل الرضا Satisfaction (ص ٢١) ، والخوف Fear (ص ٢٥) والسعادة Happiness (ص ٢٤) ، والانفعالات Emotions خاصة الحب Liking (ص ٢٦) ، والقيم Values وسمات الشخصية Personality Traits ومنها التواضع Modesty (ص ٢٧) والتفضيلات الجمالية Aesthetic

Perferences فيما يتعلق بتفضيل اللونين الأبيض والأخضر (ص ٢٧) ، وإباحة سماع الصوت الحسن وردود الأفعال Reactions للسماع ومنها النشوة Elation أو الحزن Sadness أو الخوف Fear والبيئة الفيزيائية الملائمة للسماع Physical environment .

ومضى السهروردي لبيان ما يجب العلم به من علوم الدين وأحكام الشريعة ثم يتعرض لأقاويلهم فى التصوف فيوضح أن ظاهر مذهب الصوفية استعمال الأدب مع الخلق وفي رأيه أن التصوف كله أدب فلكل وقت أدب ولكل حال أدب ولكل مقام أدب ومن لزم الأدب بلغ مبلغ الرجال ، ويعرف أدب النفس بأن تعرفها الخير وتحبها عليه وتعرفها الشر وترجرها عنه ، ومن آداب أهل الدين يذكر رياضة النفس وتأديب الجوارح وتهذيب الطباع وترك الشهوات واجتناب الشبهات والمساورة فى الخيرات وبين أن العارفين يتفاضلون بالهمة وهى ما يبعث النفس على طلب المعالى .

وفصل بعد ذلك خصالهم فيذكر منها الحلم والوفاء والتواضع والنصيحة والإحسان والخدمة والكرم والمودة والتلطف والبشر والعفو وتوقير الإخوان ، والوفاء والحياة .

- ٢ - كلام الناس على قدر عقولهم وعلى قدر السائل وعدم الحديث فيما لا يسأل فيه .
- ٣ - ألا يتكلم العبد أمام من هو أعلم منه وألا يتكلم في العلم قبل أوانه .
- ٤ - ألا يطلب الجاه والمنزلة بعلمه .
- ٥ - محاولة استعمال ما سمعه وتعلمه حتى يصير ذلك العلم حكمة في قلبه ولا ينساه .

وفي فصل الشطحات المحكية يفرق السهروردي بين العقل أو العلم وبين المعرفة ، فالعالم يقتدى به والعارف يبتدى به والعلم يتحدد في ضوء ما يُشاهد تحييراً ، أما المعرفة فهي ما يُشاهد حساً ويغيب العقل إذا غاب الهوى ، والفرق بين العاقل والأحمق هو أن الأحمق يقبل الحال .

وفي فصل حال البداية والفصل الذي يليه يتعرض لمناهج تأديب النفس ، وتتلخص في معرفة النفس ومجاهدتها ومنعها عن مألوفاتها ومخالفة أهوائها ودفعها عن شهواتها ، وإنهاكها بكثرة الأذى والأوراد والصوم والصلاة والسهر وتجويعها والندم على المخالفات والعزم على التوبة ، والاجتهاد في تبديل أخلاق النفس كالكبر والبخل والحرص والأمل والخيرة والحسد والرياء والمنازعة والغية وسوء الظن بأضدادها من الأخلاق الحميدة .

ثم يقدم بعد ذلك فصلاً في المقامات وهي الحال التي يكون العبد عليها مع ربه ، وفصلاً تالياً في معاملات القلوب وما يحل من الأذكار وفصلاً في ذكر اختلاف المسالك الموصلة للعبادة الصحيحة ومنها لزوم العبادة ، أو رياضة النفس ، أو الخلوة والعزلة ، أو السياحة أو الخدمة وبذل الجاه للإخوان وإدخال السرور عليهم ، أو طريق العجز والانكسار ، أو طريق التعلم والمساءلة ومجالسة العلماء .

ومن المفاهيم النفسية هنا القيم Values وحسن الخلق Moral (ص ٣٩) ومراقبة الذات Self - monitor وكبت الشهوات والرغبات Repression . والدافعية Motivatiptn كما يتبين في الحرص على طلب المعالي (ص ٤٠) ، وهناك مفاهيم مرتبطة بسمات الشخصية Personality والتفاعل الاجتماعي مع الآخرين Social interaction حيث يؤكد أهمية تقديم النصيحة Advice والخدمة Service والمساعدة Help والاحترام Respect والتقدير Recognition وإدخال السرور Pleasure على الإخوان ، أو العزلة Withdrawal إذا عجز الإنسان عن القيام بواجبات المخالطة (ص ٤٢ ، ٤٦) .

وفي فصل آداب المحاورة يقدم الآداب الآتية :

- ١ - أن يقصد من الكلام النصيح والإرشاد ونفع الكل .

والحرمان Deprivation من الرغبات والإحساس بالذنب Guilt feeling بالإضافة إلى التمسك ببعض القيم Values وسمات الشخصية مثل التواضع والكرم وتجنب النزاع والصراع Conflict (ص ٥٢ - ٦٠) .

ومن آداب الصلحة بين الناس يذكر حفظ الحرمان وحسن العشرة والنصيحة وترك مصاحبة من ليس في طبقتهم وملازمة الإيثار والمعاونة في الدنيا والدين والتأني في اختيار الصديق والصبر على الإيذاء عملاً بحديث رسول الله ﷺ « المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم وفي الكل خير » كما يرغب الرسول في حسن المعاشرة كما يتبين من حديثه .. لاخير فيمن لا يألف ولا يؤلف ..

ويضيف السهروردي أن من شروط الصلحة الموافقة في الاعتقاد وفي الدين ، ويوضح أن آداب الصلحة تعتمد على قدر المصاحب ، فالصلحة مع المشايخ والكبراء تقوم على الاحترام والخدمة والتوقير ، والصلحة مع الأقران بالبشر والانبساط والموافقة وبذل المعروف والإحسان ، ومع الأصاغر بالشفقة والإرشاد والتأديب والنصح بما ينفع ، والصلحة مع الأستاذ باتباع الأوامر والنواهي وخدمته وقبول قوله واحترامه ، والصلحة مع الخدم بالتلطف والدعاء ومع الغرباء بالبشر

وتقترب أفكار هذا الفصل من بعض المفاهيم السيكلوجية هي التواصل اللفظي Verbal communication والطلاقة اللفظية Verbal fluency والقدرة على الاغراء Persuasion وشروط الرسالة Message الجيدة والتي يسهل فهمها عند التخاطب بين الأشخاص ومنها مراعاة طبيعة المتلقى Receiver وقدرته على الفهم Understanding (ص ٤٨ - ٥٠) .

ومن المفاهيم أيضا ما يتصل بدور التدريب Training والممارسة Practice واستعمال المعلومات المكتسبة في تنشيط الذاكرة Memory وتسهيل الاستدعاء Recall (ص ٤٨ - ٥٠) .

وهناك أفكار أخرى تقترب من مفهوم العقل Mind والمعرفة والفرقة بين الخبرة الإمبريقية Empirical أو الواقعية والإحساس Sensation كوسائل للتعلم Learning وأهمية القدرة على الحكم Judgement في الكشف عن درجة الذكاء Intelligence فقد ذكر السهروردي أن الفرق بين العاقل والأحمق هو أن الأحمق يقبل المحال (ص ٥١) .

وهناك مفاهيم أخرى مرتبطة بالذات والضبط الذاتي والتنشئة الاجتماعية Socialization وسبل تربية النفس ومنها كبت Reprivation الدوافع الأولية Primary drives والإنهاك بكثرة العبادة

Social status والديانة Religion والموائمة القيمة Value congruence أى تشابه القيم والمعتقدات Reliefs بين الشخصين (ص ٦٤) بالإضافة إلى واجبات الصداقة ومنها الإيثار Altruism والتعاون Cooperation وتقديم النصيحة Advice والتوجيه Guidance والاحترام Respect وقد أشار السهروردي إلى تباین تلك الواجبات باختلاف طبيعة العلاقة الاجتماعية بين صديقين من نفس الجنس أو مع الشيخ الكبير إلى الصغير أو السلطان (ص ٦٤) .

ومن المفاهيم المتعلقة بموضوع الصداقة أيضاً مفهوم الفروق الفردية Individual diffrences بين الأفراد وتباين الرغبة في عقد صداقة معهم تبعاً لذلك حيث أشار السهروردي إلى أن بعض الأشخاص كالغذاء لا يمكن الاستغناء عنه وبعضهم كاللدواء نحتاج إليه أحياناً والبعض الثالث كاللداء يجب الاحتراز منه . ومن المفاهيم السيكولوجية أيضاً ارتقاء الصداقة Development of frindship أو النفاذ الاجتماعي Social penetration والذي يكشف عن تقدم وتوطد الصداقة مع الوقت والتفاعل من التعارف السطحي Superficial acquaintance وحتى الصداقة الحميمة Intimate friendship (ص ٧٦) .

وطلاقة الوجه والصبر عليهم وخدمتهم ، ومع السلطان بالسمع والطاعة إلا في معصية والدعاء له .

ويدعو السهروردي إلى التأني في اختيار الأصدقاء وتجنب أصدقاء السوء لأن المرء على دين خليله ويذكر أن هناك ثلاثة أصناف من الناس ، فمنهم صنف كالغذاء لا يستغنى عنه وصنف كاللدواء يحتاج إليه بعض الأحيان ، وصنف كاللداء نفر منه في كل حين .

وتمر الصداقة بعدة مراحل تمضي على النحو التالي : معرفة ثم مودة ثم ألفة ثم عشرة ثم محبة ثم صحبة (وهي اتفاق البواطن) ثم أخوة . ومن آداب الصوفية إذا اجتمعوا أن يقدموا عليهم أحدهم ليكون مرجعاً لهم والشروط في هذا الشخص هي راحة العقل ثم علو الهمة ثم علو الحال ثم العلم بالمذهب ثم كبر السن ثم حسن الخلق ثم قدم الهجرة ثم تمام الأدب ثم كونه أسبقهم بقاء الشيخ ثم كونه أحسنهم خلقاً .

ومن المفاهيم النفسية الواردة هنا الصداقة Friendship والمهارات الاجتماعية Social skills التفاعل الاجتماعي Social interaction والعلاقات بين الأشخاص Interpersonal relations (ص ٦٢ - ٧٠) وشروطها مثل التشابه Similarity في المكانة أو المركز الاجتماعي

الاستئذان .

ومن آداب النوم تجنب النوم حتى الصباح وتجنب النوم بين جماعة متيقظين وعدم الإفراط في النوم وأن يكون النوم للتقوية على القيام وفعل الطاعات ويستحب النوم وقت القيلولة للمعاونة على قيام الليل .

ثم يعود السهروردي لاستعراض آداب الاستماع على النحو الذي بيناه من قبل ومن آدابهم في التزويج يذكر الرغبة في المرأة المتدينة وعلى الرجل كفاية حاجات البيت فإذا عجز أو طلبت الزوجة فوق الطاقة خيرها بين الوفاق في حدود المتاح أو الطلاق وإذا لم يستطع الإنسان النكاح فعليه بالصوم والرياضة والجوع والسهر والسفر وينصح بعدم المغالاة في المهور لتيسير الزواج .

ومن آداب السؤال يذكر عدم الإلحاح في السؤال عند الضرورة والحاجة والأخذ بقدر الكفاية فقط ويكرهون السؤال لأنفسهم ويستحبونه للأصحاب ويشير إلى أن من يتعود السؤال يتلى بالطمع والخيانة .

ومن آدابهم عند المرض الصبر وطلب الدواء عملاً بمحدث رسول الله ﷺ عن التداوى لأن الله لم يخلق داء إلا وخلق له الدواء . ومن آدابهم وقت الابتلاء الصبر وذلك لأن الابتلاء ترك الجزع والشكوى والعجز .

علاوة على مفاهيم متصلة بالقيادة Leadership أو الرئاسة Headship وشروطها الذكاء Intelligence والدافعية Motivation والخبرة Experience والعمر Age (ص ٧٧) .

ويتناول السهروردي بعد ذلك آدابهم في عدد من الأحوال والمعاملات . ففي الأسفار يبين الحالات التي يستحب فيها السفر وكيفية السير في السفر وما يستحب في اللباس من آدابهم عدم التكلفة أو المبالغة في الشراء والاعتصار على ما يستر العورة مع النظافة وتجنب لباس الشهرة وتفضيل ارتداء ثوب واحد .

ومن آداب الأكل والطعام يذكر عدم الإسراف أو الشره والرضا بالطعام وتفضيل القليل التنظيف الطيب على الكثير الرديء والأكل مما يعرف أصله والامتناع عن طعام الفاسقين ومن آداب الطعام أيضاً تصغير اللقمة وإجادة المضغ وتفضيل الاجتماع على الأكل وعدم الإمساك عن الطعام قبل الضيف ويكره انتظار الأكل وتضييع الوقت بالاشتغال بالطعام .

ومن آداب الضيافة يذكر أن على المضيف ثلاثة واجبات وهي إطعام الضيف بالحلال وحفظ أوقات الصلاة عليه وتقديم ما يقدر عليه من الطعام وعلى الضيف ثلاث واجبات هي أن يجلس حيث يجلس وأن يرضى بما يقدم إليه وألا يخرج إلا بعد

السهروردي من تلك الرخص الاشتغال بالكسب لصاحب العيال أو الوالدين ، والمزاح الذى يخلو من الكذب والغيبة والسخف دون إكثار خاصة لذوى المكانة والمعانقة عند اللقاء لإثبات المودة ، وحب الرياسة مع ضرورة أن يعرف العبد مقدار نفسه فلا يرفعها فوق قدرها ولا يحطها ولا يطلب ما لا يناله ، وإظهار الطاعات والعبادات إذا كان الهدف أن يقتدى بها مقتد دون رياء ، وتناول الأطعمة الطيبة ولكن ليس على سبيل العادة ولكن بعد غافة وقبل رياضة ، ومن الرخص الهرب من الهوان ومن تحمل الأذى والجفاء واجتناب المعادة ، والانبساط على الأصدقاء وزيارتهم دون استدعاء إذا كانت الزيارة تسرهم ، والماتبة للأخوان بهدف إزالة الخلاف وتطهير القلب من الغل والحقد ، ومن آدابهم قبول العذر ومدح الممدوح وذم المذموم ومراعاة الصدق فى الحالتين دون اتباع الأهوى ، ومن آدابهم الشار عند المنصية من غير نوح أو رفع صوت ، ومنها أيضاً نهى الشار وهو ما يفرق فى الأفراح والمناسبات السعيدة دون شره لإدخال السرور على صاحبه .

ومن المفاهيم هنا الاعتدال في العمل
Work والمرح Fun خاصة لذوى المكانة
الاجتماعية المرتفعة High social status
حرصا على احترام الآخرين لهم
(ص ١٣٤ - ١٣٥) .

ومن المفاهيم الواردة في هذا الجزء
التطبيع أو التثنية الاجتماعية
Socialization والتدريب Training على
عادات Habits الأكل واللبس والسفر
والضيافة (ص ٨٤ - ١٢٩) ، فمن
آداب الأكل يذكر الرضا Satisfaction
وتفضيل القليل التنظيف على الكثير الرديء
وإجادة المضغ وتفضيل الأكل في جماعة
(ص ٩٣ - ٩٨) وفي فصل النوم يستثير
الدافعية Motivation والنشاط
(ص ١٠٠ - ١٠٢) وفي فصل الزواج
يتعرض لطرق ضبط الدافع الجنسي ومنها
الصوم والرياضة والجوع أى الإنهاك
Exhaustion عمومًا
(ص ١١٣ - ١١٥) وفي فصل آداب
السؤال (ص ١١٦ - ١١٨) تظهر
مفاهيم طلب المساعدة Help وشروطه
ومنها عدم الإلحاح وأن يكون لضرورة وأن
يكون الأخذ بقدر الكفاية . وفي فصل
الابتلاء (ص ١٢٥ - ١٢٩) تقرب
أفكاره من مفهوم الاتزان الوجداني
Emotional - stability والقدرة على تحمل
المشقة Stress وأحداث الحياة
Life - events وتجنب الشعور بالعجز
Helplessness .

أما الفصل الأخير فيختص بذكر آدابهم
في الرخص والمبدأ الأساسي هنا هو حديث
رسول الله ﷺ «إن الله يحب أن تؤتى
رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه» ، ويذكر

ومن المفاهيم أيضاً التعبير عن الحب
 Expression of love (ص ١٣٦)
 وحب القيادة Leadership أو الرئاسة
 Headship (ص ١٣٦) واحترام الذات
 Self - respect والاعتدال في مستوى
 الطموح Level of aspiration من خلال
 عدم التطلع إلى ما لا يتال (ص ١٣٦) ،
 وكذلك أهمية التعلم بالعبرة Vicarious
 learning أو التعلم بالمشاهدة
 Observaational learning (ص ١٣٧)
 وهو تعلم ناشئ من مشاهدة شخص آخر
 يسمى القدوة Model يصدر الاستجابة
 المرغوبة مما يفرى الشخص الذى يجرى
 تعليمه بإصدار نفس الاستجابة المرغوبة .
 ومن المفاهيم السيكلوجية أيضاً تجنب
 النزاع والصراع Conflict والحث على
 التفاعل الاجتماعى Social interaction
 والاتصال ومودة الأصدقاء Friends
 وفاعلية العتاب وشروطه كأسلوب لحل
 الخلاف Conflict resolution بين
 الأصدقاء (ص ١٤٠) . وأخيراً تقترب

أفكار هذا الجزء من الصدق Truth
 والموضوعية Objectivity وتجنب الذاتية
 Subjectivity في الحكم على الأمور من
 خلال حته على مدح الممدوح وذم المذموم
 لون اتباع الهوى (ص ١٤١) ،
 وكذلك التعبير المعتدل عن الحزن عند
 المصيبة كوسيلة للتفريغ الانفعالى
 والتخفيف النفسى Psychological relief
 لنفادى الاضطراب النفسى الناجم عن
 كبت الانفعالات (ص ١٤٤) ثم مفهوم
 المشاركة الاجتماعية والمجاملة Gourtesy في
 الأفراح والمناسبات السعيدة لإدخال
 السرور على الآخرين —————
 (ص ١٤٨ ، ١٤٩) .

أوجه الاستفادة من الكتاب في علم
 النفس .

يمكن الاستفادة من هذا الكتاب في مجال
 علم النفس الاجتماعى .

عرض :

أسامة سعد أبو سريع

